صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢٠٧ الموافق في ذو القعدة ١٤١٩ هجري ٣ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : بنت الشاطيء رحمها الله	بقلم : أ.عدنان

" **وداعاً .. فارسة الكلمة** " عنوان ورد في ركن من الصفحة الثانية من صحيفة إسلامية أسبوعية ، فشد انتباهي وقلت في نفسي : ومن تكون ياترى ؟ فلما قرأت الموضوع علمت أنها الأديبة الناقدة ، العلامة المتبحرة في اللغة وفقهها " عائشة عبد الرحمن " الشهيرة ببنت الشاطيء ، فتعجبت وسألت نفسي : أيعقل أن ترحل بنت الشاطيء عن دار الغرور من غير أن تضج الدنيا - في زمن الفضائيات وغيرها - بخبر وفاتها رحمها الله ؟!. وبحركة عفوية تناولت الهاتف واتصلت بمن أظن أن عنده الخبر اليقين، فكان جوابه نعم، ولم تعط ما تستحقه من التقدير ! فقد أسدت إلى أجيالنا المعاصرة خدمات جليلة، ونسأله تعالى أن يتغمدها بواسع رحمته .

تألمت من طريقة تعامل المسلمين - وأخص العرب منهم - مع عظمائهم وأهل الفضل فيهم ، فتذكرت كلاماً رائعاً للعلامة يوسف القرضاوي يشير فيه إلى أن من البراهين على تخلف هذه الأمة كونها تهمل العلماء الأجلاء وترفع الهدامين الرقعاء ، وإذا رحل أحد من أهل الفضل والخير إلى أول منازل الآخرة ، فإن معظم الناس لا يحسون بفقده ، وإذا هوى " نجم " من نجومهم السياسية أو الفنية أو الأدبية - المفسدين في الأرض ، فإن القاصي والداني يسمع بموته ، ويؤخذ بما يزيفون وينسبون إليه من المآثر والفضل !

أكثرُ الناس يحكمون على النـ ـاس وهيهات أن يكونوا عدولا
فلكم لقبوا البخيل كريماً ولكم لقبوا الكريم بخيلا !
ولكَمْ أعطُوا المُلِحّ فأغنوْا ولكم أهملوا الضعيف الخجولا !
رب عذراء حرة وصموها وبغيٍّ قد صوَّروها بتولا !
وسجين صبُّوا عليه نكالاً وسجين مدلل تدليلا !

وأنا لا أدعو إلى تزوير الحقيقة وتضخيم واقع الفقيدة رحمها الله تعالى ، فبنت الشاطيء يصدق فيها قول الصادق المصدوق ﷺ " تجدون الناس كإبل مائة ، لا يجد الرجل فيها راحلة " [مسلم]. والراحلة من الإبل - كما يذكر صاحب لسان العرب - البعير القوي على الأسفار والأحمال . ونقل عن الأزهري أن " الراحلة عند العرب كل بعير بجيب ، سواء كان ذكراً أو أنثى " وقد كانت بنت الشاطيء قوية

بفكرها ، نجيبة في فهمها وعملها في زمن ضعفٍ وإخلاد إلى الأرض ، وانغماس في الشهوات وانبهار بالشبهات ، وقد فرضت احترامها من خلال مسيرتها العلمية و الفكرية التي لم تتوقف ، ولا أدل على ذلك من ترصيع جبين المكتبة العربية والإسلامية بجواهر من الكتب والبحوث المؤلفة والمحققة ، ومن حصولها على شهادات التقدير وجوائز التكريم ، وأذكر هنا بعضاً منه يحمل دلالة واضحة : وسام الكفاءة الفكرية (المغرب ١٩٦٧) وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى (مصر ١٩٧٣) جائزة الملك فيصل العالمية (السعودية ١٩٩٤) .

ويهمني في هذه السطور أن أشير إلى أمرين أثارهما في نفسي رحيل بنت الشاطيء رحمها الله تعالى :

الأول : إننا في أمس الحاجة إلى مؤمنات قانتات :

*** يقتحمن عقبات " وهن العزيمة " المدمر للإرادة الفاعلة ، وإن أبقى على الرغبة الحالمة !**

*** ويحطمن أغلال " العادات " المكبلة لحركة الفكر ، والصارفة عن المعرفة البصيرة .**

*** ويبنين بجد واقتدار عقولاً ونفوساً تؤمن بالحق ، وتعشق الخير ، وتغار على الإنسان .**

يبني الرجال (العقول) وغيره يبني القرى شتان بين قُرىً وبين رجال (عقول)

إن كثيراً من المسلمات - مثلهن مثل كثير من الرجال المسلمين - يعرفن سبيل النجاة من الآفات الفكرية والأخلاقية والسلوكية ، ولكنهن لا يسلكنه بجد ، وما لم تدفع المؤمنة ثمن الذي تروم من الخير فإنها لن تحصل عليه { والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا } فهذه سنة مطردة .

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

وهنا أنبه إلى ضرورة اهتمام المسلمات بالمعرفة التي تُنهض " شجاعة العقل " في النفس إلى جانب " شجاعة القلب " فمن آفاتنا :

إن الشجاعة في القلوب كثيرة ووجدت شجعان القلوب قليلا

وأعني أن تهتم المرأة المسلمة بدراسة الفكر الفلسفي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ... إلى جانب عنايتها بالفكرة الإسلامية وتركيزها على جوانبها العاطفية السلوكية الفردية ، حتى تكثر " الرواحل " التي تحمل المسؤولية وتقود الركب باقتدار .

الثاني : أتمنى أن يكون في صفوف المسلمات كفاءات تنهض بدراسة حياة الراحلة عائشة بنت الشاطيء وتسجيل جوانب القوة والضعف في عطائها ، لتأخذ أجيالنا عبراً بالغة ، وهذا من الإنصاف الذي دعانا إليه ربنا البر الرحيم { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره }